النـــــبر عند المجوديـــــن
(أنواعه، مقاديره، وأغراضه)

د. صالح علي محمود *

* أستاذ مساعد بكلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية بجامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.

ملخص البحث

تناولت في هذه الدراسة ظاهرة النبر عند المجودين: أنواعه، ومقاديره، وأغراضه.

وقد هدفت الدراسة إلى دحض أمرين مهمين هما:

1/ قول القائلين من المستشرقين و بعض علماء اللغة العرب المحدثين من أن علماء التجويد فضلا عن علماء اللغة العربية من الصرفيين و العروضيين، لم يعرفوا ظاهرة "النبر" ولم يتناولوها في دراساتهم الصرفية والعروضية والتجويدية، فأثبت أن علماء التجويد قد تناولوا هذه الظاهرة و درسوها دراسة عميقة و مفصلة و ثرية ثراءً لم يصل إلى شأوه كل من المستشرقين و من ذهب مذهبهم في هذه المسألة من علماء اللغة العرب المعاصرين.

2/ زعمهم أَنْ ليس للنبر دور تمييزي في العربية، فدحضت هذا الزعم و اقتلعته من أصله بإثبات دور تمييزي للنبر في العربية على مستوى الصيغة و الجملة.

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: أن مفهوم النبر عند المجودين لا يختلف عنه عند المحدثين إلا في بعض المسميات.

كما توصلت إلى أن المجودين تفوقوا على علما اللغة المحدثين بإثراء المصطلحات النبرية وتقنين مدده الزمنية.

اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي، وجاءت في مقدمة، ومبحثين: المبحث الأول: في نبر الضغط (التشديد) بنوعيه: الصيغي، والإدغامي، واستعرض أنواع وأغراض هذا النوع من النبر، ومداه الزمني الذي يستغرقه تكوُّنُه النطقيُّ.

أما المبحث الثاني فقد كان عن نبر الطول، وقد تناول أنواعه ومقاديره الزمنية، وعن الأغراض التي تدعو إلى الإتيان بكل نوع من أنواعه.

خاتمة: تضمّنت النتائج والتوصيات، وفهرس المصادر والمراجع.

Abstract

In this study I dealt with the phenomenon of Alnabr(stress) when Mujoudiin: types, amounts, and purposes.

The study aimed to refute two important things:

1- The saying of the orientalists and some of the modern. Arabic linguists that the scholars of Tajweed as well as the Arabic linguists of the Sarafis(morphology) and the Maronites did not know the phenomenon of "Nabar" and did not take it in their studies of morphology, presentation and Tajweed, And studied a study of deep and detailed rich rich did not reach the concerns of both orientalists and the gold doctrine in this issue of contemporary Arabic linguists.

2- Claiming that the pen does not have a discriminatory role in Arabic, it refuted this claim and uprooted it from its origin by proving the discriminatory role of the Prophet in Arabic in terms of wording and sentence.

One of the most important findings of the study: that the concept of al-Nubr when Majoudin is not different from the modernists only in some names.

I also found that the Magdines have surpassed the knowledge of the modern language by enriching the eloquent terms and codifying their temporal periods

The study followed the method of inductive and analytical, and came in the forefront, and two topics: The first topic: in the pressure of stress (emphasis) two types: formative and auditory, and reviewed the types and purposes of this type of tone, and the length of time taken by its logical.

As for the second topic, it was about the length of the length of the needle, and it dealt with its types and time amounts, and the purposes that call for the introduction of each type.

Conclusion: included the findings and recommendations, and the catalog of sources and references.

الحمد لله القائل: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]. والصلاة والسلام على من بعثه الله بالمعجزة الخالدة والآية الباهرة والحجة القاطعة و على آله و أصحابه أولي الفضل و التقى.

أما بعد: فهذا بحث تأصيلي في ظاهرة "النبر" عند علماء التجويد، بعثني إليه قول بعض المستشرقين من أمثال: هنري فليش(H. Fleisch): وجان كانتينو(J. Cantineau) وبرجشتراسر، ومن وافقهم من علماء الأصوات العرب المحدثين، ويتلخص قولهم في أنّ الدراسات العربية بشقيها؛ اللغوي والتجويدي، أهملت تناول دراسة هذه الظاهرة، (ظاهرة النبر)، وخلت مؤلفات أصحابها عن الحديث عنها أو الإشارة إليها؛ ذلك لأن النبر ليس له وظيفة تمييزية يؤديها، سواء في النحو أو التجويد أو العروض، وقد أوضح (كانتينو)ذلك بقوله: " وتلعب نبرة الكلمة في اللغات الهندو – أوربية القديمة دوراً تمييزياً: فقد تميّز هذه النبرة بين الصيغ النحوية أو بين الكلمات، وذلك بحسب مكان وقوعها منها أو بحسب جنسها... وخلافاً لذلك لم نر في العربية أن نبرة قد لعبت البتة دوراً تمييزياً يذكر، ولذلك سكت النحاة العرب عنها"[1].

أما (فليش) فقد أوضح أن: "نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماما لدى النحاة العرب، بل لم نجد له اسماً في سائر مصطلحاتهم... وقد لزم واضعو هذا العروض الصمت إزاء موضوعه، تماماً كما فعل النحاة، وقفى على أثرهم المؤلفون في علم التجويد"[2]. أما البكوش فقد ذكر: "لم يدرس النحاة العرب النبرة مطلقاً فهو مفهوم غربي مثل الإيقاع"[3]. ويقول أحمد مختار عمر: "أهمل علماء العرب دراسة النبر إهمالاً تاماً)[4].

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الرد على مقولة هؤلاء المستشرقين ومن ذهب مذهبهم من علماء اللغة العربية المعاصرين، ويحاول إثبات أن علماء التجويد فضلاً عن علماء

(1) دروس في علم أصوات العربية، 195.
(2) العربية الفصحى،64.
(3) التصريف العربي، هامش (18) من ص 8.
(4) البحث اللغوي عند العرب، 120.

اللغة قد تناولوا هذه الظاهرة ودرسوها دراسة واعية وعميقة، وفصلوا فيها تفصيلاً لم يصل إلى شأوه علماء اللغة المحدثون، فدرسوا هذه الظاهرة تحت مسميات مختلفة مثل:التشديد، أو التضعيف، والإدغام والإخفاء بنوعيه، و المدود بأنواعها المختلفة.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من كونه:

1/ يرد على قول القائلين بأن ظاهرة النبر قد أُهملت دراستها عند كل من المجودين واللغويين في التراث العربي الإسلامي، وذلك بإثبات سبق علماء التجويد إلى معرفة هذه الظاهرة و دراستها دراسة واعية مفصلة وعميقة.

2/ أنه تأصيل لظاهرة هي قطب من أقطاب الدراسات اللغوية التي تدور حولها الدراسات الصوتية.

3/ أنه إضافة علمية في حقل علم التجويد و توسيع في زواياه و مجالاته البحثية.

هيكل الدراسة:

يتكون هيكل الدراسة مما يلي:

- تعريف النبر في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: في النبر الضغط أي: (التضعيف).

المبحث الثاني: في النبر الطول أي: (المد).

- خاتمة تضمنت: النتائج والتوصيات.

تعريف النبر:

النبر لغة، قال ابن منظور): النَّبْرُ بالكلام: الهَمْز، قال وكلُّ شيء رفع شيئاً فقد نَبَرَه، والنبْرُ: مصدر نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبِرُه نَبْراً: هَمَزَه. -وقال- بن الأنباري: النبْر عند العرب ارتفاع الصوت يقال: نَبَرَ الرجلُ نبْرَةً: إذا تكلم بكلمة فيها عُلُوٌّ... ونبرة المغني: رفع صوْته عن خفض)[1]. فانحصر معناه اللغوي بين الهمز و العلو و

(1) لسان العرب، دار الصادر، بيروت – لبنان، ط3، 1414هـ،5 /189، بتصرف واختصار.

الارتفاع؛ لأنّ من خصائص النبر الصوتية الارتكاز كما في صوت الهمز، و العلو كما في الكلام المرتفع و كلاهما من أخص خصائص ظاهرة النبر.

وأ ما في الاصطلاح فله تعريفات كثيرة أذكر منها ما يلي:

أ- عرفه إبراهيم أنيس فقال: (هو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد) ثم يوضح ذالك النشاط الذي يعتري جميع أعضاء النطق قائلاً: (فعند النطق بمقطع منبور، نلحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط؛ إذ تنشط عضلات الرئتين نشاطاً كبيراً، كما تقوى حركات الوترين الصوتيين ويقتربان أحدهما من الآخر؛ يسمح بتسرب أقل مقدار من الهواء، فتعظم بذلك سعة الذبذبات، ويترتب عليه أن يصبح الصوت عالياً واضحاً في السمع. هذا في حالة الأصوات المجهورة. أما الأصوات المهموسة فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادهما في الصوت المهموس غير المنبور وبذلك يتسرب مقدار أكبر من الهواء، وكذلك يلاحظ أن الصوت المنبور نشاط في أعضاء النطق الأخرى، كأقصى الحنك واللسان والشفتين، ولكن حين النطق بالصوت غير المنبور نلحظ فتوراً في أعضاء النطق، فالمسافة بين الوترين الصوتيين مع المجهورات تتسع نسبياً وبذلك يقل ضغط الهواء في أثناء تسربه، وتقل سعة الذبذبات، كما نلحظ أن تلك المسافة مع المهموسات لا تكون في اتساع بحيث تسمح بمرور قدر من الهواء وكذلك تفتر باقي أعضاء النطق، فلا يسد أقصى الحنك الفراغ الأنفي سداً محكماً ، كما يحدث في الصوت المنبور ، كذلك نلاحظ أن الوضع اللساني يكون أقل دقة وإحكاماً ويضعف نشاط الحركة في الشفتين ، ويترتب على كل هذا الخمول في عضلات النطق أن يقل وضوح الصوت في السمع وينخفض الصوت فيصعب تمييزه من مسافة عندها يمكن تمييز الصوت المنبور[1]. ويمكن تلخيص هذا التعريف من الناحية الفسيولوجية – العضوية – في:

(1) الأصوات اللغوية، ص138-139.

1/ نشاط عضلات الرئتين وذلك لرفع الهواء من الحجاب الحاجز بنشاط أقوى.

2/ قوة حركة الأوتار الصوتية و اتساع ذبذباتها بسبب التضييق والتقارب الذين يحصلان في فتحتي الوترين الصوتيين.

3/ تقارب الوترين في حالة إنتاج الأصوات المجهورة و تباعدها في حالة إنتاج الأصوات المهموسة.

ب- تعريف تمَّام حسان هـو: "أنه وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات"[1].

ج- وعرفه مالمبرج بأنّه: "أن تنطق أصوات المقطع المُنَبَّر بقوة أكثر من غيرها"[2].

المبحث الأول

في نبر الضغط أي (التشديد)

عرف الطيب البكوش النبر فقال: "إشباع مقطع من المقاطع وذلك بزيادة ارتفاعه الموسيقي أو مداه أو شدته"[3]. تناول هذا التعريف أكثر أنواع النبر التي هي: زيادة ارتفاع الموسيقا، و زيادة المدى الزمني الذي تمثله نبر المدود، و زيادة تشديده الذي يمثله نبر الضغط. و الذي يهمنا من هذه الأنواع الآن النوعان الأخيران اللذان هما نبر الطول " المد" و نبر الضغط" التشديد".

ولنبدأ الآن بنبر الضغط فنقول: إن نبر الضغط"التضعيف" يحدث عادة إذا التقى حرفان مثلان أو متقاربان الأول منهما ساكن والثاني متحرك فيقلب أحدهما إلى الآخر ويدغمان، ويُعتمد في نطقهما اعتمادة واحدة من غير وقف على الأول ولا فصل بينهما بحركة، ولا روم، ويصيران بالتداخل كحرف واحد لا مهلة بين بعضه وبعضه ويلزم اللسان أو غيره من المخارج موضعاً واحداً، إلا أن مكثه واحتباسه – لما يحدث من التضعيف- أكثر منه في الحرف المخفف. كقولك: قطٌّ،

(1) مناهج البحث في اللغة، 260.
(2) بارتيل مالمبرج: الصوتيات،ترجمة حلمي هليل ص107.
(3) التصريف العربي 80.

وثمَّ، وكان الأصل: قطط وثمْمَ، وقد جَّعل وهل ثُّوب ولأصل فيه: قدْ جعل وهلْ ثُوب[1]. فـ"الواجب معرفته من كيفية النطق بالمشدد وصفة التلفظ به، هو أن يكون زمان النطق بحرفين، ساكن ومتحرك، لا يزيد على ذلك فيصير كأنه نائب مناب أكثر من حرفين، ولا يقصر دونه فيكون قد أخل من الكلام بحرف، بل يتحرى من ذلك ما يكفيه مؤنة الزيادة والنقصان، وينظم له المقصود في أبهى معرض من الحسن والإحسان"[2].

تحت هذا الضرب من النبر، الأنواع التالية:

الأول: نبر التشديد الذي تضعيفه ليس ناتجاً عن إدغام وإنما هو من بنية الكلمة وصيغتها التي وضعت عليها أصلاً، وذلك مثل: (إنٌّ، وكأنٌّ، ولكنَّ)[3]. فمن المشددات التي يجب المحافظة على تشديدها وإيفائها حقها في ذلك ما أورده القرطبي قائلا: "فمن ذلك الياء والواو إذا جاءتا مشددتين في مثل قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ [الفاتحة: 5]. و قوله تعالى: ﴿**أَيًّا مَّا تَدْعُوا**﴾ [الإسراء: 110].

وقوله تعالى: ﴿**ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّـــا**﴾ [مريم: 2]. وقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**﴾ [مريم: 47]. وقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا**﴾ [الكهف: 37][4]. وقوله تعالى: ﴿**لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ [يوسف: 32].

التحليل الصوتي لهذه الأمثلة:

(إيَّا) من (إياك نعبد) و(أيًّا ما تدعوا) أصلهما: أيْياً، بياءين، الأولى ساكنة والثانية متحركة بعدهما ألف، في الأولى أصلية و في الثانية منقلبة عن نون التنوين. وتوضح بالكتابة المقطعية هكذا: (ص ح ص + ص ح ح) و (ص ح ص+ ص ح ص) بمقطعين، ولا يتغير شكل المقطع بالإدغام بل تظل الكلمة ذات مقطعين حتى بعد الإدغام هكذا: (ص ح ص/ ص ح ح) و (ص ح ص+ ص ح ص)•.

(1) القرطبي: الموضح، تقديم وتحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، (1421هـ - 2000). ص 139-140ببعض التصرف.
(2) القرطبي: الموضح، ص141.
(3) محمد المرعشي: جهد المقل، ت: دار عمار، الأردن، ط1، (-1422 1987م)، 210.
(4) القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، تقديم وتحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 1421هـ - 2000م، 142.

• ص ح ص تعني: حرف صحيح + حركة قصيرة+ حرف صحيح ساكن مثل: "إيْ"، من "إيا". و " ص ح ح" تعني: حرف صحيح + حركة طويلة نحو: " إيا" من " إيَا". وهي زموز يرمز بها في كتابة الكلمات كتابة مقطعية.

و(ريَّا) من (زكريا) أصلها :ريْيا (ص ح ص) (ص ح ح) بمقطعين، وتظل عليه بعد الإدغام هكذا: (ص ح ص/ ص ح ح) وهكذا باقي الأمثلة. ثم يقول القرطبي: (ويتأكد تشديدهما إذا جاءتا مشددتين وبعد كل واحد منهما مثلها فتعمد إشباع التشديد فيهما من غير مبالاة ولا تهيبك ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الأعراف: 205]. و قوله: ﴿وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف: 28]. ويعلل القرطبي لهذا الضرب من النبر الضغطي فيقول: (لأن الواو والياء حرفا مد والصوت يمتد بهما، وبالتشديد يخرجان عن المد واللين، ويتحيز مخرجهما فيكون الواو من الشفتين والياء من الشَّجْر وبالتحيز يبطل المد ويلتحقان بغيرهما من الحروف الصحاح)[1]. ومعنى هذا إننا إن لم نشدد الواو أو الياء في هذه الأمثلة ونحوها يصبحان قربين من حرفي المد و يتحول نبرهما من نبر الضغط إلى نبر المد وبنبرهما بالضغط عليهما يبتعدان عن المدية و اللين ويصبحان حرفين صحيحين، فالنبر إذن ضروري ؛ لإعطاء الأصوات الملامح التي تميزها عن الأصوات غير منبورة التي تشبهها في الخط.

وقد نَبه القراء والمجودون إلى ضرورة المحافظة على هذا النوع من النبر عند كل حرف مشدد وعن كيفية النطق به والتحرز من الخطأ في التشديد بعدم تمكينه فيه أو الإفراط والغلو فيه فمن ذلك مثلاً حرف الباء المشددة في هذه الآيات: ﴿إِنَّ هؤُلاء مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ﴾ [الأعراف: 139]. و﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: 39]. و﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: 3]. قال القرطبي فيهن وعلل ذلك فقال: "لأن التشديد يمكن الشفة من أخذ حظها من مخرج الباء ويجمعها عليها فيؤمن إطباقها"[2].

الثاني: التشديد الحاصل من أجل الإدغام: الإدغام لغة قال ابن منظور: "والإدْغامُ: إدخال حَرْف في حَرْف. يُقَالُ: أَدْغَمْت الْحَرْفَ وادَّغَمْته، عَلَى افْتَعَلْتُه. والإدْغامُ: إدخال اللِّجَامِ فِي أفواه الدَّوابِّ. وأَدْغَمَ الفرسَ اللجامَ: أَدخله في فيه، وأَدْغَمَ اللِّجامَ فِي فَمه كَذَلكَ؛" قَالَ الأَزهري: وإدغامُ الْحَرْف فِي الْحَرْف مأْخوذ مِنْ هَذَا؛ قَالَ بَعْضُهُمْ: وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الإِدْغام فِي الحروف"[3].

(1) الموضح،143.
(2) الموضح: 148.
(3) لسان العرب،الناشر، دار صادر – بيروت، ط3،141،12/ 203.

وهو في الاصطلاح: "النطق بالحرفين حرفا واحدا كالثاني مشددا"[1]. و هو أيضاً "أن تأتي بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد من غير فصل بينهما على أن يصيرا حرفاً واحداً مغايراً لهما بهيأته وهو الحرف المشدد، وزمانه أطول من زمان الحرف الواحد المخفف واقصر من زمان الحرفين المخففين"[2].

والإدغام في العربية يحدث عند ما يكون هناك صوتان متماثلان أو متقاربان، أولهما ساكن والثاني متحرك، والمحدثون يطلقون على الإدغام (المماثلة Assimilation) و هو إطلاق شكلي؛لأن القدماء يقولون لا تتم عملية الإدغام إلا بعد قلب الأول إلى جنس الثاني، أي: يتماثلان أولا قبل الإدغام ثم يدغمان بعد ذلك.

فالنون الساكنة والتنوين يدغمان في ستة حروف، وهي مجموعة في (يرملون) فإذا جاء بعد النون الساكنة والتنوين أحد هذه الأحرف وجب إدغامهما فيه.

الأمثلة:

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يعرضوا﴾ [القمر: 2]. قال القرطبي – وهو بصدد الحديث عن تمكين التشديد–: (..... فإن إشباع التشديد يتعين فيها ويجب لها) كقوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

و﴿عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: 68]. و﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾ [النساء: 40]. و﴿يَوْمَئِذ لَخَبِيرٌ﴾ [العاديات: 11]. و﴿آمِنْ وَالٍ﴾ [الرعد:11]. و﴿يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: 16]. و﴿مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ [الليل: 19]. ﴿شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ [القمر: 6].

تحليل الأمثلة مقطعياً:

(وإن يروا) و(آيةً يعرضوا): ص ح ص/ ص ح)، بمقطعين قبل الإدغام.

وبعده هكذا: (ص ح ص/ ص ح) بقلب النون ياء وإدغامها في الياء، يركز عليهما النبر زمناً يساوي زمن النطق بحرفين، أي: مقدار حركة طويلة والتي تساوي مدتها المدة التي يستغرقها المد الطبيعي عند القدماء. وهكذا باقي الأمثلة.

(1) عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع،مكتبة السوادي للتوزيع،ط4، 1412 هـ - 1992 م، 53.
(2) المرعشي: جهد المقل. ص181.

حكم هذا النبر:

حكمه وجوب الإتيان به إذ لو تركه التالي لأخل بصيغة الكلمة والإخلال بالصيغة يؤدي إلى الإخلال بالمعنى – هذا إذا كان التضعيف في الكلمة من أصل الوضع اللغوي – أما إذا كان ناشئاً من أجل الإدغام المجمع عليه بين القراء فإن تركه يؤدي إلى الخلل في الأداء المعروف في عرف القراء باللحن الخفي الذي يتوقف إدراكه على العالمِينَ بفن التجويد، فإن كان من نوع الإدغام الاختياري فحينئذ يكون حكمه جائزاً، وقد يكون واجباً إذا كان التالي يقرأ بقراءة تلتزم بهذا النوع من الإدغام كقراءة أبي عمرو بن العلاء في حالة الإدغام الكبير مثلاً.

مداه الزمني:

يقدر زمن امتداد النطق بهذا النوع من النبر بمقدار المد الطبيعي، أي: حركتين صوتيتين أو أصبعتين، وقد قيدهما جلال حنفي بالأصبعتين[1]. ولا وجه ذلك؛ لأن حركة الأصبع الحسية إنما قيل بها من أجل توضيح زمن الحركة الصوتية اللغوية، كما قدر زمن الغنة المصاحب لنبر الإدغام بأربع حركات فقال: "إنّ الإدغام هنا يكون مقرونا بغنة أمدها أربع حركات لا يجاوزها المقرئون"[2]. وهذا مخالف لما قرره المجودون من أن مدى الغنة على قدر مدى المد الطبيعي، قال المرصفي: "أما مقدارها فحركتان كالمد الطبيعي "[3].

ويقسم المجودون مراتب الغنة من حيث القوة والضعف إلى ثلاثة مراتب:

الأولى: المشدد، أي: الذي تشديده من صيغة الكلمة.

الثانية: المدغم بالغنة الناقص، أي: الذي تبقى فيه شائبة من المدغم في المدغم فيه،مثل: ﴿**أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ**﴾ [المرسلات: 20]. و﴿**أَحَطْتُ**﴾ [النمل: 22].

الثالثة: المخفى، وذلك كما في إخفاء النون الساكنة والتنوين، والميم الساكنة التي بعدها باء عند من يخفيها، ويرى بعض علماء التجويد تفاوت مدى الغنة في هذه المراتب على النحو التالي:

(1) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف لشؤون الدينية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (1407ه- 1987م).
(2) قواعد التجويد: ص158.
(3) عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي، هداية القارئ إلى تجويد كلام البارئ، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط:2ص 180.

الأولى: غنة كاملة وهي في الراء المشددة؛ لأنها تحتاج إلى إلصاق اللسان باللثة إلصاقاً شديداً من أجل إخفاء التكرير الذي فيها وهذا يزيد من مداها الزمني.

الثاني: كل ما أدغم من غير إخفاء – أي: إخفاء تكرير الراء – وغنة ولا إطباق ولا استعلاء، مثل: ﴿**ذرية**﴾ [الإسراء: 3]. و﴿**لجيٍّ**﴾ [النور: 40]. فهذا ونحوه تشديده دون الأول.

الثالث: المدغم إدغاما ناقصاً وهو ما تصاحبه الغنة أو الإطباق أو الاستعلاء مثل: ﴿**سيذكر من يخشى**﴾ [الأعلى: 10]. و﴿**أحطتُ**﴾ [النمل: 22]. و﴿**ألم نخلقكم**﴾ [المرسلات: 20]. فهذا تشديده دون تشديد الثاني؛ لما فيه من بقاء صفة المدغم من الغنة والإطباق و الاستعلاء[1]. ولم ينص أحد على مقدار هذا التفاوت إلا المرعشي قال: "ولم أر في مؤلف تقدير امتداد الغنة، ولو قلنا: إن أعلاها قدر ألف وأدناها قدر ثلث ألف وأوسطها قدر ثلثي ألف، لأصبنا الحق أوقربنا منه"[2]. و هناك من لا يرى هذا التفاوت في مراتب الغنة، فقد عقب محمد مكي على كلام المرعشي الآنف الذكر فقال: "والذي نقلناه عن مشايخنا وعن العلماء المؤلفين في فن التجويد المتقنين، أن الغنة لا تزيد ولا تنقص عن مقدار حركتين كالمد الطبيعي؛ لأن التلفظ بالغنة الظاهرة يحتاج إلى التراخي... لكن ينبغي التحذير عن المبالغة في التراخي"[3].

وعليه فأن مقدار النبر لا يتفاوت بين مرتبة وأخرى من هذه المراتب، بل يركز على الصوت المنبور بمقدار واحد. قال المرصفي: "أما مقدارها فحركتان كالمد الطبيعي أي: غنة كاملة من غير تفاوت في المراتب الثلاثة"[4]. و هذا هو الراجح في هذه المسألة.

الغرض من الإتيان بهذا النوع النبر:

هناك عدة أغراض يؤتى من أجلها بهذا النوع من النبر:

(1) مكي ابن أبي طالب: الرعاية تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، ط4، (2001م). ص 255.
(2) بيان جهد المقل عن نهاية القول المفيد، 166.
(3) نهاية القول المفيد، 166.
(4) نفسه: 180-181.

أولها ديني:

وهو إتباع ما وردت به التلاوة عن السلف؛ لأن القراءة سنة متبعة لا تجوز مخالفتها.

ثانيها لغوي:

ويتمثل في:

1/ غرض صوتي: وهذا في التشديد الناتج عن الإدغام و يتمثل في التخفيف الحاصل بسبب الإدغام إذ النطق بحرفين مدغمين أخف من النطق بحرفين مظهرين، يقول القرطبي معللاً للغرض الصوتي من الإدغام: "والعلة في ذلك أن اعتماد آلة النطق وارتفاعها عنه وعودها إليه ثم ارتفاع عنه، مستثقل يُشْبِهُ مشي المقيد، فجعل اللسان أو غيره من المخارج ينبو عنهما نبوة واحدة؛ طلباً للخفة،ولما في ذلك من السهولة على اللافظ"[1]. وهذا ما يعبر عنه عند علماء الأصوات بالاقتصاد في عملية إنتاج الأصوات.

2/ غرض صرفي: وهو إعطاء الصيغة صفتها المميزة لها من باقي الصيغ الصرفية الأخرى؛ وذلك فيما كان التشديد فيه ليس ناشئاً من الإدغام وإنما هو من أصل وضع الكلمة في اللغة، فمثلاً: نزَّل، كرَّم، علَّم، تخالف صيغتهن صيغة: نَزَلَ، كَرُم، عَلِمَ، وبالتالي تختلف دلالة كل منهن تبعاً لاختلاف صيغتهن.

وينتج عن القيمتين السابقتين قيمة جمالية أدائية تتمثل في الرونق والجمال الذي تضفيه هذه التلاوة ذات الكفاءة الأدائية ما يجعلها مقبولة وممتعة لدى السامع ذي المعرفة بقواعد التلاوة ما يجعله يقبل عليها ويوجه كل حواسه نحوها ويوفرها عليها، قال تعالى: ﴿وَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204].

ثانيا: القلقلة:

هي في اللغة: تعني الحركة و الاضطراب، جاء في الصحاح: "قلقل أي: صوَّت... قلقله قلقلة وقلقالا فتقلقل أي: حركه فتحرك واضطرب"[2].

(1) الموضح، 140.
(2) الجوهري: الصحاح، 93/2.

وهي في اصطلاح المجودين: "اضطراب اللسان بالحرف عند النطق به ساكناً حتى يسمع له نبرة قوية"(1). أي: إن العضوين المشتركين في إنتاج هذه الأصوات من اللسان وغيره لا يستقران في مخرج الصوت الملفوظ من هذه الأصوات حين النطق به، بل ينفصلان فجأة محدثين صويتاً هو ذلك الصُّوَيْتُ المسمى بالقلقلة، فإذن هناك علاقة قوية بل تطابق تام بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي للقلقلة.قال سيبويه: "واعلم أن من الحروف حروفاً مشربة ضغطت من مواضعها فإذا وقفت خرج معها من الفم صويتٌ ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة... والدليل على ذلك أنك تقول: الحذق فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت، لشدة ضغط الحرف. وبعض العرب أشد صوتاً، كأنهم الذين يرومون الحركة"(2). والقلقلة تدخل في نبر الضغط ونبر الطول معاً، فإذا كانت في الحرف المشدد ووقف عليه مثل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1]. و﴿الْحَقِّ﴾ [الأحقاف: 30]. و﴿الْحَجِّ﴾ [البقرة: 197]. كانت من نبر الضغط و الطول معاً؛ لأنها يركَّزُ عليها عند الوقف تركيزاً أقوى مما يكون و هي غير مشددة ثم يتبع ذلك بذلك الصويت.

وأما إذا كان حرف القلقلة غير مشدد، فهي حينئذ من النبر الطول فقط؛ لأن حرف القلقلة يُتْبَع في هذه الحالة بصويت يزيد في مداه النطقي فطول.

حكم نبر القلقلة:

حكم هذا الضرب من النبر واجب؛ لأن بدونه يختل النطق ويشوه اللفظ ولا يبين الصوت المنطوق إلا بإدخال ذلك الصويت الذي اصطلح عليه باسم القلقلة.

غرضه:

من أغراضه:

1/ اتباع ما وردت به التلاوة عن السلف.

2/ يميز الصيغة المطلوبة عن غيرها من الصيغ، وذلك عندما تكون في المشدد.

3/ يوضح هذه الأصوات ويبينها أكمل تبيين، ويخلصها من الهمس الذي يلحقها

(1) المرصفي: هداية القارئ، ص83.
(2) الكتاب، 174/4.

من الشدة والجهر اللذين فيهن.يقول ابن الجزري: "وَسُمِّيَتْ هَذه الحُرُوفُ بِذَلِكَ لأَنَّهَا إِذَا سَكَنَتْ ضَعُفَتْ فَاشْتَبَهَتْ بِغَيْرِهَا فَيَحْتَاجُ إِلَى ظُهُورِ صَوْتٍ يُشْبِهُ النَّبْرَةَ حَالَ سُكُونِهِنَّ فِي الْوَقْتِ وَغَيْرِهِ وَإِلَى زِيَادَةِ إِتْمَامِ النُّطْقِ بِهِنَّ، فَذَلِكَ الصَّوْتُ فِي سُكُونِهِنَّ أَبْيَنُ مِنْهُ فِي حَرَكَتِهِنَّ، وَهُوَ فِي الْوَقْفِ أَمْكَنُ"[1].

4/ يكسو التلاوة جمالاً ويكسبها رونقاً و يضفي عليها بهاءً.

المبحث الثاني

في نبر الطول (المَد)

النبر المدي هو الذي يكون بإطالة زمن الصوت عند النطق بأحد حروفه الثلاثة المعروفة والمجموعة في(واي)؛لغرض لفظي أو معنوي.

أنواعه:

قسم المجودون هذا الضرب من النبر المدى إلى:

أ/ طبيعي:

وهو الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به، وهو ما لا يتوقف على سبب من همز أو سكون ؛ لأنه عبارة عن صيغية تُحَقّقُ بها الكلمة العربية ذاتيتها، وذلك كما في: (قال، يقول، قيل) و كما في بعض أحرف المعاني مثل: "يا" النداء و" في" الظرفية و " ما" و"لا" في استعمالاتهما المختلفة، فإذا حذف حرف المد من هذه الكلمات، اختلت بنيتها واضطربت دلالتها بل خفيت وأصبحت مبهمة.

مقدار المدى الزمني لهذا النوع من النبر:

حدد المجودون لهذا الضرب من النبر مقدار حركتين، إحداهما حركة الحرف الذي قبل حرف المد والأخرى هي حركة حرف المد، مثال ذلك: (بَ بَ) فحركة الباء الأولى هي حركة الحرف الذي قبل حرف المد، والثانية هي مقدار حرف المد كما في (قال، يقول، قيل) فحركة القاف في الأمثلة الثلاثة هي إحدى الحركتين المذكورتين،

(1) النشر، 203/1.

وحرف المد في الأمثلة الثلاثة هو الحركة الثانية[1]. وقد "قدر بعضهم الحركة بثانية واحدة كما تقول: واحد اثنان"[2]. وخطؤه ظاهر بين؛ لأن "وا" من "واحد" تمثل مداً طبيعياً لوحدها، وجاء في كتاب(حق التلاوة): "قدر بعضهم الحركتين بمقدار نطق " بَبَ أو تَتَ"[3] وهذا تقدير صحيح. لأن كل حركتين قصيرتين تساويان حركة طويلة وكان الأولى أن يمثل لهما بـ(ـَـَ). وقد قيَّد "جلال حنفي" الحركة التي يقاس بها المد بحركة الإصبع وهذا لا وجه له؛ لأن الحركة المقصودة هي الحركة الصوتية لا الإصبعية وذلك لأن كل حركتين قصيرتين تساويان حركة طويلة، و إنما مُثِّلَ بحركة الإصبع لتبيانها وتوضحيها ليس إلا. ولابد من التنبيه إلى أن هذا النوع من النبر قد يتخلف في بعض السياقات الصوتية:كالتقاء الساكنين مثلاً فإنه يكون قصيرا جداً بل معدوما لفظاً.

ويعد نبر المد الطبيعي على بساطته "أدق مد بين المدود وهو أقصرها مسافة وزمناً، إذ لا يجوز أن يزيد مداه الزمني على حركتين... وقد ينجرف القارئ في تيار النغمة فيزيد في مسافة المد الطبيعي زيادة ظاهرة فيخرج بذلك عن قانون المد بمجاوزته مقداره المقرر"[4].

ينقسم المد الطبيعي إلى:

1/ طبيعي كلمي وهو ما كان في كلمة كالأمثلة السالفة الذكر.

2/ طبيعي حرفي وهو:كالمدود الطبيعية التي توجد في حرف واحد من الحروف الهجائية التي في الحروف المقطعة في أوائل السور القرءانية مثل قوله تعالى: ﴿**طه**﴾ [طه: 1]. و﴿**يس**﴾ [يس: 1]. و﴿**حم**﴾[5]. فألفات هذه الحروف ونحوها مدود طبيعية حرفية، وعلى الجملة فإن الحروف التي تمد مداً طبيعيا في أوائل السور مجموعة في (حي طهر) ويلحق بهذا المد كل من مد الصلة الصغرى، ومد العوض، ومد البدل ومد اللين في غير الوقف، أما عند الوقف ففيه المد

(1) محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد 173، بتصرف.
(2) التجويد وعلوم القرءان: عبد السميع صقر عن جلال حنفي: قواعد التجويد الهامش (7) 119.
(3) حسني شيخ عثمان: حق التلاوة،عن جلال حنفي: قواعد التجويد الهامش (7)، ص119.
(4) جلال حنفي: قواعد التجويد و الإلقاء الصوتي، 76.
(5) من كل الحواميم.

والقصر والتوسط.

الغرض من هذا النوع من النبر:

الأغراض التي يؤتى من أجلها بهذا النوع من النبر تتمثل فيما يلي:

غرض ديني:

و يتمثل في اتباع السلف فيما نقلوه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فعن قتادة – رضي الله عنه – قال: "سئل أنس – رضي الله عنه – كيف كانت قراءة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قال: كانت مداً، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمد (بسم الله)، ويمد (الرحمن) ويمد (الرحيم)"[1]. وعقب أبو عمرو الداني على هذا الحديث فقال: (وهذا حديث مخرج من الصحيحين وهو أصل في تحقيق القراءة وتجويد الألفاظ وإخراج الحروف من مواضعها والنطق بها على مراتبها وإيفائها صيغتها... وغنة وتكرير واستطالة وغير ذلك على مقدار الصيغة وطبعة الخلقة من غير زيادة ولا نقصان"[2].

غرض لغوي:

و يتمثل في أن هذا النوع من النبر يعطي الكلمة العربية صيغتها ويميز بنيتها التي عن طريقها يستقيم لفظها و تتحدد دلالتها.

ينتج عن الغرضين المتقدمين غرض جمالي يتمثل في أداء القرءان الصوتي على السجية العربية السليمة التي نزل بها، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (اقرأوا القرءان بلحون العرب وأصواتها)[3].

ب/ فرعي:

وهو الزائد على بنية الكلمة. وهذا الضرب من النبر ينقسم إلى:

1/ اللازم: وهو الذي يلزم نبره نبراً زائداً على نبر المد الطبيعي. وينقسم نبر اللزوم إلى:

أ/ **حرفي:** وهو "أن يوجد حرف في فواتح بعض السور هجاؤه ثلاثة

(1) البخاري يشرح فتح الباري لابن حجر، 91/9.
(2) التحديد، 79.
(3) قال أبو إسحاق الحويني: منكر، أخرجه الطبراني في (الأوسط)– كما في (المجمع) (7/ 169).

أحرف أوسطها حرف مد الثالث ساكن مدغم في غيره"[1]. مثل قوله تعالى: ﴿الم﴾ [البقرة: 1]. وينقسم نبر المد اللازم الحرفي بدوره إلى:

1. مد حرفي مخفف: وهو: "ما وقع بعد حرف المد ساكن في حرف هجاؤه على ثلاثة أحرف وكان الساكن مظهرا"[2]. مثل قوله تعالى: ﴿ص﴾ [ص: 1]. و﴿ق﴾ [ق: 1]. و قوله تعالى: ﴿ن﴾ [القلم: 1].
2. مد حرفي مثقل: وهو (ما وقع السكون بعد حرف المد في حرف هجاؤه على ثلاثة أحرف والساكن مدغم)[3]. مثل: ﴿الم﴾ [البقرة: 1].

ب/ **كلمي:** وهو (أن يقع بعد حرف المد واللين سكون أصلي مدغم – أي: مشدد – في كلمة)[4]. نحو: قوله تعالى: ﴿الطَّآمَّةُ﴾ [النازعات: 34]. وينقسم أيضاً إلى:

1. كلمي مخفف: وهو (أن يقع بعد حرف المد واللين سكون أصلي غير مدغم أي: مخفف في كلمة)[5]. نحو: قوله تعالى: ﴿آلْآنَ﴾[6]. في موضعين من يونس. و قوله تعالى: ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: 143]. و﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [لأنعام: 144].

المدى الزمني لهذا القسم من أنواع النبر:

قدر المجودون المدى الزمني لنبر المد اللازم بقسميه بثلاث ألفات على المشهور من خمسة أقوال ذكرها ابن الجزري في (النشر) والألف قدرت بحركة الإصبع قبضاً أو بسطاً، وقد أجرى الدكتور يوسف الخليفة أبوبكر والشيخ محمد عبد الكريم الأزهري تجربة في مقدار الحركة بأجهزة قياس الأصوات، فخرجا بنتيجة مفادها: أن الحركة الواحدة = نصف ثانية، فإذاً أن الألفات الثلاثة = ثانية ونصف ثانية، وقال:– الخليفة– إن بعض الأساتذة في بعض الدول العربية أجرى

(1) محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد 137.
(2) الطرهوني: عبد الرحيم عدة القارئ، ص514.
(3) الحصري: أحكام قراءة القرءان الكريم، 219.
(4) المرصفي: هداية القارئ، 341.
(5) المرصفي: هداية القارئ، 341.
(6) الآيات: 143، 144 الأنعام، و51، 91، 59 يونس.

تجربة مماثلة قدر فيها حركة الإصبع بثانية كاملة[1]. وعلى الجملة فإن زمن المدود لا يتحدد بأجهزة القياس الصوتية تحديدا دقيقا وإنما هو زمن ذوقي يتحدد عن طريق التلقي عن العالمين بهذه الصناعة.

الغرض من هذا الضرب من النبر:

هناك عدة أغراض يؤتى من أجلها بالنبر اللازم، تلك الأغراض هي:

1/ **اتباع سنة السلف الواردة بذلك** أي: الكيفية التي نقلت بها التلاوة إلينا عن السلف، فعن قتادة – رضي الله عنه– قال: سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: (كان يمد مداً) ورواه النسائي بلفظ: "سألت أنساً كيف كانت قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (كان يمد صوته مداً)"[2].

2/ **غرض صوتي:** وهو التخلص من التقاء الساكنين، حيث تقوم هذه الإطالة النبرية مقام التحريك؛ لأن التخلص من التقاء الساكنين يتم بأحد ثلاث طرق هي:

1. التحريك.
2. الحذف.
3. المد ولكلٍّ سياقه الذي يرد فيه.

3/ **غرض جمالي في الأداء القرءاني:** ذلك هو هذا النوع من النبر المدي الذي يصاحب التلاوة، إذ التلاوة التي لا يراعى فيها هذا الضرب من النبر، تخلو من عنصر هام من عناصر الجمال وهو هذا الأداء المصحوب بالنبر المدي ما يجعلها خالية تماما من الرونق والجمال والجاذبية والأسر، الأمر الذي يفقدها قيمتها التأثيرية لدى المستمع المثالي، وهو الذي لديه الدراية بأحكام التلاوة الصوتية وقوانينها الأدائية.

(1) أصوات القرءان، 107-108.
(2) البخاري، 6/ 195-196.

2/ نبر المد الواجب:

ويسمى المتصل، وهو "الذي يقع فيه بعد حرف المد واللين همز متصل به في كلمة"[1]. مثل: قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ**﴾ [البقرة: 5]. و قوله تعالى: ﴿**سِيئَتْ**﴾ [الملك: 27]. و قوله تعالى: ﴿**قُرُوء**﴾ [البقرة: 228].

حكم نبر هذا الضرب من المدود:

يعتبر نبر هذا النوع من المدود واجباً عند القراء والمجودين، فلا يجوز تركه بحال من الأحوال، فإن فعل كان آثماً؛ لأنه مخالفة لما وردت به التلاوة.

مقدار مدى الزمن النبري للمد الواجب:

هناك خلاف بين علماء الأداء حول المدى الذي يستغرقه نبر المد الواجب، وبما أنني لست بصدد التفصيل في أحكام هذا الفن، سأكتفي فيه بقول المرصفي الذي قال: "مقدار المد فيه بالنسبة لحفص عن عاصم من الشاطبية أربع حركات..."[2].

غرض النبر في المد المتصل:

هناك عدة أغراض لهذا النوع من النبر:

غرض ديني:

وهو اتباع الطريقة الواردة بذلك، فعن ابن مسعود – رضي الله عنه – كان يقرئ رجلاً، فقرأ الرجل ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء والمَسَاكِيْنِ**﴾ [التوبة: 60]. مرسلة، أي: مسرعاً بها من غير مد، بمعنى أنه لم يعطعها حقها من النبر المدي وذلك بعدم التلبث في ألف المدة التي يتحقق فيها نبر المد الواجب، فقال ابن مسعود– رضي الله عنه – ما هكذا أقرأنيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال:كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟ قال: أقرأنيها: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء**﴾ فمدها[3]. وعن جبلة بن سحيم قال: "قرأت على عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء**﴾ قال: فأخذها علي بالمد، ثم قال: قرأتها على رسول الله صلى الله عليه

(1) المرصفي: هداية القارئ، 112.
(2) هداية القارئ،281.
(3) الطبراني، المعجم الكبير 137/9.

وسلم كما قرأتها، فأخذها عليَّ كما أخذتها عليك وفغر فاه"[1]. ففغر الفم هنا عبارة عن فتحه للنطق بالألف زمناً يمكنه من تحقيق هذا النبر المدي وتوفيته واجبه الأدائي الذي يتطلبه سياقه الصوتي الذي يرد فيه.

غرض صوتي:

وفي تفسير هذا الغرض تعليلان:

الأول: جيء بالمد من أجل بيان الهمزة والمحافظة عليها، وإلى هذا ذهب ابن جني من النحاة وأبو عمرو الداني، وعبد الوهاب القرطبي من المجودين، قال القرطبي: "العلة في وجوب المد تختلف، فعلة وجوبه فيما إذا كان بعد حرف المد همزة، إن حرف المد في غاية الخفاء والخفة، والهمزة في غاية الظهور والثقل، فهما ضدان، فجيء بالمد مقوباً لهذه الحروف، ومظهراً لخفائها؛ لتحصل هناك مناسبة ما، تحصن الهمزة وتحرسها، ولولا ذلك لم يؤمن من أن يغلب خفاؤها على الهمزة فتضعف وتتلاشى... فالحاصل إن هذه الحروف إنما مدت لئلا يكون اللسان منتقلاً عن الأخف إلى الأثقل دفعة فلا يتحقق مخرج الهمزة فقويت بالمد زيادة لبيان الهمزة وقصداً لتحقيق مخرجها وتوخي تمكن النطق بها"[2]. وقال ابن جني: "وإنما تمكن المد فيهن مع الهمزة، أن الهمزة حرف نأى منشؤه، وتراخي مخرجه، فإذا نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تماديت بهن نحوه، طُلن وشِعن في الصوت، فوفين له وزدن في بيانه ومكانه، وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيره وغير المشدد، ألا تراك إذا قلت: كتاب وحساب وسعيد وعمود وضروب وركوب لم تجدهن لدنات ولا ناعمات ولا وافيات ولا مستطيلات، كما تجدهن إذا تلاهن الهمزة أو الحرف المشدد"[3].

وممن ذهب إلى هذا الرأي أيضاً: الزجاج وابن قتيبة حيث قالا: "موجب تمكين المد بيان الهمزة، لا بيان الممدود؛ لأن الهمزة خفية، ومع خفائها ففي إخراجها كلفة؛ لأنها تخرج من الصدر كالسعلة لشدتها وبعد مخرجها فقويت بتمكين المد في حرف المد قبلها"[4].

(1) أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني: التمهيد في معرفة التجويد 161.
(2) الموضح، 128 129.
(3) الخصائص، 125/3.
(4) غانم قدوري: الدراسات الصوتية ص528.

الثاني: عكس الأول: وهو إنما جيء بالمد من أجل بيان أصوات المد؛ لأنها خفية وإذا جاورن الهمزة زادخفاؤهن، لقوة الهمزة وصعوبتها في اللفظ وإلى هذا ذهب مكي بن أبي طالب في أحد تعليلاته فقال: "إن هذه الحروف خفية، والهمزة حرف جلد بعيد المخرج، صعب في اللفظ، فلما لاصقت حرفاً خيف عليه أن يزداد بملاصقته الهمزة له خفاءً، فبين بالمد ليظهر"[1]. وساند الجعبري في بعض تعليلاته هذه الظاهرة رأي مكي فقال: "ووجه المد أن حرف المد ضعيف خفي، والهمز قوي صعب، فزيد في المد تقوية للضعيف عند مجاورة القوي..."[2]. وأما في تعليله الآخر لهذه الظاهرة فقد جمع بين تعليل مكي ومن معه القائل بأن المد إنما جيء به للمحافظة على أصوات المد وبين تعليل ابن جني ومن ذهب مذهبه القائل إن ظاهرة المد إنما اجتلبت من أجل بيان الهمزة والمحافظة عليها فقال: "وقيل: يستعان به على النطق بالهمزة؛ وليكون صوناً لحرف المد من أن يسقط عند الإسراع، لخفائه وصعوبة الهمزة"[3].

أما علماء الأصوات العرب المحدثون فلم يسهموا بشيء في التعليل لهذه الظاهرة إلا قليل منهم كالدكتور أنيس الذي لم يخرج في تعليله لهذه الظاهرة عما قاله المتقدمون من علماء الأصوات والتجويد، قال: "أما السر في هذه الإطالة فهو – كما يبدو لي – الحرص على صوت اللين وطوله، لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أو الإدغام، لأن مجرى الهواء معه حراً طليقاً، وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين؛ إذ الأول يستلزم أن يكون منفرجة، في حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقاً محكماً يليه انفراجها فجأة، فإطالة صوت اللين في الهمزة يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضوي كبير وإلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين وهذا هو نفس السر في إطالة صوت اللين حين يليه صوت مدغم؛ لأن طبيعة اللغة العربية ونسجها يستلزم

(1) الكشف 1/ 46.
(2) محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص 133.
(3) المرجع نفسه والصفحة.

قصر أصوات اللين الطويلة–أي أصوات المد– حين يليها صوتان ساكنان، فحرصاً على صوت اللين وإبقاء على ما فيه من طول بولغ في طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة التي شاعت في اللهجات العربية قديمها وحديثها، من ميل صوت اللين على القصر حين يليه صوتان ساكنان"[1]. فتعليل أنيس لظاهرة المد قبل المشدد يوافق ما ذهب إليه جمهور علماء التجويد أما تعليله المد قبل الهمزة فلا يوافق إلا مذهب مكي بن أبي طالب.

أما الذي أسهم به الدكتور أنيس وأضافه في هذا المجال فينحصر في التوضيح الذي قدمه لأوضاع الوترين الصوتيين عند إنتاجهما أصوات المد وصوت الهمزة حيث تكون فتحة المزمار مع أصوات المد منفرجة مفتوحة في حين أنها تكون منطبقة مقفلة في أثناء إصدارها لصوت الهمزة.

وهي إضافة جليلة ومساهمة مقدرة؛ لأنها تلقي الضوء على أوضاع الحنجرة حين إصدارها لتلك الأصوات وذلك من حيث كيفية مرور الهواء على الوترين الصوتيين التي تؤثر بدورها على الملامح الصوتية للأصوات اللغوية.

غرض جمالي:

يتحقق في التلاوة المشتملة على هذا النوع من النبر؛ إذ الإخلال بقواعد الأداء يفقد التلاوة رونقها وجمالها وجاذبيتها لدى المتلقي الذي له دراية ودربة على تلك القواعد التي تزيد في حسن التلاوة وتضاعف من جاذبيتها وإطرابها وإمتاعها للسامع المثالي.

3/ نبر المد الجائز:

ويسمى المد المنفصل و هو الذي يجوز مده و قصره على حد سواء و هو: (أن يقع الهمز بعد حرف المد واللين بشرط انفصاله عنه وذلك بأن يكون حرف المد واللين آخر الكلمة والهمز أول الثانية)[2]. مثل: ﴿**قوا أنفُسَكُمْ**﴾ [التحريم: 6]. ﴿**وَأُفَوِّضُ أمري إِلَى اللهِ**﴾ [غافر: 44].

(1) الأصوات اللغوية، 159-160.
(2) هداية القاري، 283.

حكم هذا النوع من النبر:

يجوز فيه المد و القصر.

مداه الزمني:

في حالة القصر يمد مدا طبيعيا بمقدار حركتين، و في حالة المد يمد من 3-4-5-6 حركات. (فالقصر حركتان كالمد الطبيعي والمد يشمل أربع مراتب وهي: المد ثلاث حركات أو أربع أو خمس أو ست)[1].

غرضه الصوتي:

الغرض الصوتي هذا لنبر المد المتصل كالغرض الصوتي في نبر المد الطبيعي في حالة القصر و كالمد الواجب في حالة المد وقد سبق تفصيل ذلك فيما تقدم.

د/ الإخفاء:

ومن نبر الطول نبر الإخفاء، وعرفه المجودون بأنه "النطق بحرف ساكن عار من التشديد على صفة بين الإظهار والإدغام مع بقاء الغنة في الحرف الأول، وهو النون الساكنة أو التنوين"[2].

وسماه جلال حنفي الإشمام ورأى أن تسميته بالإخفاء تسمية اعتباطية ولذا وجب تصحيحها على الرغم من الإجماع على هذا المصطلح منذ قرون طويلة فقال: "وإنما أطلقنا تسمية الإشمام على هذه الحالة؛ لأنّا رأينا أن النون الساكنة تأخذ من رائحة هذه الحروف شميماً ملحوظاً في الأسماع، وأنها لتتأثر بتلك الحروف تأثراً ظاهراً تُشْرَبُ مذاقها، وهذا ناشئ من كونها تقترب من مخرجها ولا تبيت فيه... وبعبارة أخرى: أن النون الساكنة تتأثر بالحرف الإشمامي الآتي بعدها، وهي ما تبرح في حالتها السكونية من قبل أن تحتك بالحرف الذي تريد الالتقاء به في المقطع الثاني.. وهذا ظاهر في المذاق الإشمامي العالق بالنون الساكنة بمجرد سكونها، فإذا انتهي منه تم النطق بالحرف الإشمامي الذي رشحته رائحته في النون إلى

(1) هداية القاري، 284.

(2) محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد، 123.

الأسماع قبل النطق به، أما حالة الإخفاء فإنها لا وجود لها هنا؛ لذا كان المصطلح اعتباطياً وجديراً بالتصحيح رغم أنه اشترك في استعماله علماء القراءات واللغة معاً من دهر بعيد"[1]. وقال إبراهيم أنيس: "وليس ما سموه بالإخفاء إلا محاولة الإبقاء على النون وذلك بإطالتها مما أدى ما نسميه بالغنة هذا إلا أننا نلحظ مع ما يسمونه بالإخفاء ميل النون إلى مخرج الصوت المجاور لها"[2]. وأما المجودون فيرون أن الإخفاء هو أن تختفي النون الساكنة – كذلك التنوين– من مكان نطقها وتبقى صفتها – الغنة – في الخيشوم أي: أن النون تصير غنة مجردة في الخيشوم ولا وجود لها في اللثة. قال "مكي": "فإذا أخفيتها عند ما بعدها صار مخرجها من الخياشيم لا غير، فتذهب النون عند الإخفاء وتبقى الغنة من الخياشيم ظاهرة"[3].

وبالنظر إلى هذه النصوص يتحصل لدينا في كيفية الإخفاء ثلاثة آراء هي:

1/ الأول لعلماء الأصوات العرب القدماء ولا سيما المجودون منهم فهؤلاء يرون أن نطق النون يختفي من اللثة وينتقل إلى الخيشوم في صورة الغنة.

2/ الثاني: لـ (جلال حنفي): ويرى فيه أن النون تأخذ رائحة من الصوت الذي يأتي بعدها من تلك الأصوات الخمسة عشر وتتأثر وتتشرب مذاقه وتقترب من مخرجه من غير أن تحل معه فيه.

3/ الثالث: لـ(إبراهيم أنيس) وهو أن النون تميل إلى مخرج الصوت الذي بعدها من أصوات الإخفاء وبالتأمل في كلام أنيس و حنفي، يظهر أنهما يعنيان معنىً واحداً وهو ميل مخرج صوت النون في هذه الحالة إلى مخرج الصوت الذي يليها من تلك الأصوات.

وأما علماء العربية والمجودون فيقولون بأنَّ النون لا تقترب ولا تميل إلى تلك المخارج وإنما تختفي عندها اختفاء وتصبح غنة مجردة تجري في الخيشوم.

وعلى كل فإن ميل مخرج النون إلى مخارج تلك الأصوات الذي يقول به المحدثون لم يكن غائباً أو مجهولا لدى علماء التجويد فقد نصوا على أن النون

(1) قواعد التجويد و الإلقاء الصوتي، 161.
(2) الأصوات اللغوية،64.
(3) الرعاية،297.

تتصل بمخارج هذه الأصوات وتختفي عندها يوضح ذلك قول القرطبي: "ومعنى خفائها ما قدمناه من اتصال النون بمخارج هذه الحروف واستتارها بها وزوالها عن طرف اللسان، وخروج الصوت من الأنف من غير معالجة بالفم"(1). كما أنه لم يكن غائباً عنهم ما قال به المحدثون من أن الإخفاء عبارة عن تطويل أمد نطق النون)(2). أي: إطالة الصوت بها، فهذا المرعشي يقول: "أقول: الإخفاء يشبه المد؛ لأن التلفظ بالغنة الظاهرة يحتاج إلى التراخي"(3). وقال بن الجزري– وهو يعلل لإدغام النون والتنوين في الواو والياء –: "أن الغنة التي فيهما ، أشبهت المد واللين اللذين فيهما"(4).

والباحث يميل إلى قول المجودين، لأننا عندما ننطق النون لا نشعر إلا بتلك الغنة التي تجري في الخيشوم، ولأن القول بميول مخرج هذه النون إلى مخارج أصوات الإخفاء يقربها من الإدغام ولا قائل بذلك، لأن الصوتين إذا تقاربا في المخرج فقد يُكْتَفَى بأحدهما عن الآخر بإدغامهما؛ توفيراً للجهد المبذول في إنتاجهما.

الأمثلة:

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾ [الأنعام: 93]. قال تعالى: ﴿**مَنْ كانَ عَدُوًّا لله**﴾ [البقرة: 98]. قال تعالى: ﴿**نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: 103]. قال تعالى: ﴿**وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**﴾ [يونس: 108]. وقال تعالى: ﴿**لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ**﴾ [فصلت: 49]. وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ [الحجرات: 9]. و قال تعالى: ﴿**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾ [الطلاق: 4]. وقال تعالى: ﴿**وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا**﴾ [ق: 11]. وقال تعالى: ﴿**قالُوا أَإِذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً**﴾ [الإسراء: 49]. وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الملك: 1]. و قال تعالى: ﴿**تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا**﴾ [الفتح: 29].

(1) الموضح، 170.
(2) الأصوات اللغوية، 64.
(3) جهد المقل، 203.
(4) التمهيد، 159.

التحليل المقطعي لهذه الأمثلة:

فأصل: (من كَان) من (من كا) قبل الإخفاء هكذا(ص ح ص/ ص ح ح) وبعده (ص ح (×) ص ح ح) باختفاء صوت النون وبقاء غنته وفي: (تاً ك)من (بلدة ميتا كذا لك) قبل الإخفاء هكذا (ص ح ص/ ص ح)و بعده هكذا (ص ح (×) ص ح)باختفاء التنوين وبقاء غنته وهكذا في بقية الأمثلة.فالإخفاء عبارة عن إسقاط ذات النون والتنوين وإبقاء صفتهما وهي الغنة، و طريق معرفتها وكيفية نطقها لا يمكن إلا مشافهة أما عن طريق الكتابة فلا يمكن تبيين هذه المسألة الصوتية، وهذا ينسحب إلى كثير من مسائل علم الأصوات، كأنواع الإمالة والقلقلة والإطباق والتفخيم والترقيق الخ، فهذه المسائل وغيرها من المسائل الصوتية لا يستطيع أحد أداءها إلا عن طريق التلقي والمشافهة والأخذ من العالمين بها.

مقدار المدى الزمني لنبر غنة الإخفاء:

المدى الزمني لهذا النبر: حركتان؛ لأنه عبارة عن اللبث في غنة النون والتنوين مقدار ألف، أي: مقدار المد الطبيعي.

والمجودون يجعلون له ثلاث مراتب:

- **إخفاء زائد:** وهذا فيما قرب من مخرج النون، وهي: الطاء والدال والتاء.
- **متوسط:** وهذا فيما كان مخرجه متوسطاً، أي: لم يقرب منها كالحروف السابقة، ولم يبعد منها كالحروف الآتي، وهو كل ما عدا أصوات القسمين.
- **قليل:** وهذا فيما بعد من مخرجها وهذا له حرفان: القاف والكاف.

وتوضيح هذه المراتب: أن الأصوات الثلاثة الأولى الإخفاء عندها زائد ومعنى زيادته: أن المُخْفَى من النون كثير ومدى الغنة الباقية في هذه الحالة قصير، وهذه الحالة عندهم أقرب إلى الإدغام؛ لأن جل حرف النون كالداخل فيما بعده من هذه الحروف.

وان المخفى من النون الساكنة والتنوين في صوتي الكاف و القاف قليل ومدى الغنة الباقية في هذه الحالة طويل فهذه الحالة أقرب إلى الإظهار عندهم وأشبه به؛ لأن حرف النون لم يدخل منه شيء في هذين الصوتين، فكأنه – لذلك– منطوق

به.كالحرف المظهر.

وأن الباقي منهما في حالة الإخفاء المتوسطة متوسط، أي: أن الباقي من ذات النون الساكنة والتنوين، وغنتهما متساويان ليس أحدهما أزيد أو أنقص من الآخر. وعلى هذا فكان من المنطق أن لا يتساو ى مدى الغُنَات في هذه المراتب، وقد تنبه المرعشي إلى هذه المسألة فقال: "ولم أر في مؤلف تقدير امتداد الغنة في هذه المراتب"(1). ثم ذكر في شرحه علي جهد المقل: "لو قلنا: أعلاها قدر ألف، وأدناها قدر ثلث ألف وأوسطها قدر ثلثي ألف، لأصبنا الحق أو قربنا منه"(2). والقسمة العقلية تقتضي أن يكون أوسطها حركة قصيرة، وأدناها نصف حركة قصيرة، على أن تجزيء الحركة القصيرة فيه مشقة تجعل تصوره من الصعوبة بمكان.

وقد عقب محمد مكي نصر على كلام المر عشي آنف الذكر قائلا: "والذي نقلناه عن مشايخنا وعن العلماء المؤلفين في فن التجويد المتقنين، أن الغنة لا تزيد ولا تنقص عن مقدار حركتين كالمد الطبيعي؛ لأن التلفظ بالغنة الظاهرة يحتاج إلى التراخي... لكن ينبغي التحذير عن المبالغة في التراخي"(3)؛ لئلا يتولد من ذلك التراخي صوت مد من جنس الحركة السابقة لغنة الإخفاء.

ويلحق بإخفاء النون إخفاء الميم الساكنة إذا وقع بعدها صوت الباء. والميم الساكنة هي العارية عن الحركة أياً كان نوع تلك الحركة مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ**﴾ [العاديات: 11]. وقوله تعالى: ﴿**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا**﴾ [النمل: 37]. وقوله جل شأنه: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [البقرة: 179]. وقوله تعالى: ﴿**إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ**﴾ [الهمزة: 8].

وأحكام هذه الميم الصوتية ثلاثة:

الحكم الأول: **الإظهار:**

وهو عند حروف المعجم جميعها ما عدا الميم والباء وأصوات المد الألف، والواو، والياء، والأمثلة معلومة بالضرورة عند أصحاب هذا الشأن فلا داعي

(1) بيان جهد المقل عن مكي نصر الجريسي: نهاية القول المفيد166.
(2) بيان جهد المقل عن الجريسي: نهاية القول المفيد166.
(3) نهاية القول المفيد،166.

للإطالة بذكرها، وهذا الحكم مجمع عليه فلا خلاف أعلم في هذه المسألة إلا ما روى عن الإمام "الكسائي" أحد القراء السبعة المشهورين من أنه كان يخفي الميم الساكنة إذا أتى بعدها صوت الفاء كما في مثل قوله تعالى: ﴿**يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾ [البقرة: 19]. وهكذا ما كان مثلها في جميع القرآن. وحذر علماء الأداء من أن تخفي الميم عند الفاء والواو وذلك لقرب مخرج الفاء من مخرجها واتحاد مخرجها مع الواو، قال ابن الجزري:

وأظهرنها عند باقي الأحرف

واحذر لدى واو وفا أن تختفي[1].

وقال الشيخ سليمان الجمزوري:

واحذر لدى واو وفاء إن تختفي

لقربها ولاتحاد فاعرف[2].

وبيت الجمزوري هو نفسه بيت ابن الجزري إلا أنه زاد عليه بالتعليل.

قال مكي بن أبي طالب مبيناً علة هذا التحذير: "... وإنما ذلك خوف الإخفاء والإدغام لقرب مخرج الميم من مخرجهن، لأنهن كلهن يخرجن من ما بين الشفتين غير أن الفاء يخرج من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا"[3]. وإظهار الميم الساكنة عند الواو أخف منه عند الفاء؛ وذلك لما تقدم أنها تشاركها في المخرج قال أبو العلاء الهمذاني العطار: "وإظهارها عند الواو أسهل منه عند الفاء وذلك أن الميم توافق الواو في المخرج فأما عند الفاء فيحتاج فيها إلى تكلف؛ لأن الفاء بانحدارها- نزولها- إلى الفم باعدت الميم"[4].

الحكم الثاني: **الإدغام:**

وهذا إذا وقع بعد الميم ميم أخرى متحركة فتدغم الأولى الساكنة في الثانية المتحركة ويسمي علماء التجويد هذا الإدغام بالشفوي وذلك لخروج المخفي والمخفى

(1) ابن الجزري: المقدمة بشرح ابن بالوشة ص 65.
(2) الجمزوري: تحفة الأطفال ص6.
(3) مكي: الرعاية ص 232.
(4) التمهيد -29 30.

عنده من الشفتين، و هذا الحكم أيضاً مجمع عليه فلا أعلم من قال بإدغامها في سوى الميم إلا ما روى عن أبي عمرو بن العلاء من أنه كان يدعم الميم في الباء بشرط أن يكون ما قبل الميم متحركاً كما في قوله تعالى: ﴿**لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً**﴾ [النحل: 70]. حيث تقرأ: "يعلب بعد علم" ثم تدعم الباء في الباء فتكون على هذه الصورة (يعل بَّعدعلم).

وهذا النوع من الإدغام يسمى إدغاماً كبيراً عند علماء القراءات ويعترض عبد الصبور شاهين على تسمية هذا النوع بالإدغام فيقول: "والواقع أنه ليس بإدغام، بل هو حسب تعبيرهم (إخفاء) ويعلل اعتراضه على هذه التسمية قائلاً: "لأن الذي يحدث عند التقاء الميم بالباء أن الميم لا تدخل في الباء ليصير الحرفان باءً مشددة، بل تبقي الميم غنة خيشومية"[1]. قال الإمام السيرافي "وروي عن أبي عمرو أنه كان يدغم الميم في الباء إن تحرك ما قبل الميم مثل قوله تعالى: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**﴾ [الأنعام: 53]. فإذا سألت أصحابه عن اللفظ بما ترجموا عنه من إدغام لم يأتوا بباء مشددة؛ وقد سألت أبا بكر بن مجاهد – رحمه الله – فذكر أنهم يترجمون عنه بإدغام أو نحو هذا من اللفظ"[2]. فإذاً إدغام أبي عمرو الميم في الباء إدغام في الاسم وهو إخفاء فعلاً بدليل تعرية الباء من الشدة التي هي علامة الإدغام.

الحكم الثالث: **الإخفاء:**

وهذا فيما إذا وقع بعد الميم الساكنة باء مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ**﴾ [النمل: 35]. وقوله جلت كلمته: ﴿**فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا**﴾ [النمل: 37]. ولكن هذا الحكم ليس متفقاً عليه بل هنالك وجهات نظر حوله أوضحها فيما يلي:

أولاً: **آراء القدماء حول هذا الحكم:**

هناك رأيان إزاء هذا الحكم عند علمائنا المقرئين القدامى:

الرأي الأول: يقول: بأن حكم الميم الساكنة عند الباء الإخفاء، وبهذا أخذ أهل

(1) عبد الصبور شاهين: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ص 155.
(2) شرح السرافي عن المصدر السابق، نفس الصفحة.

الأداء في الأندلس وفي سائر البلاد الغربية وفي مصر والشام وهو رأي أبي بكر بن مجاهد وأبي عمرو الداني واختيار ابن الجزري.

الرأي الثاني: رأي ابن المنادي ومكي بن أبي طالب القيسي حيث قالا بإظهار الميم الساكنة عند الباء وعليه أهل الأداء في البلاد الشرقية كالعراق مثلاً.

قال ابن الجزري: الوجهان صحيحان مقروء بهما إلا أن الإخفاء أظهر وأشهر، وعلل ابن الجزري لاختيار الإخفاء على الإظهار فقال: "إلا أن الإخفاء أولى للإجماع على إخفائها عند القلب، وعلى إخفائها في مذهب أبي عمرو حالة الإدغام في نحو: ﴿**بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**﴾ [الأنعام: 53].

وكيفية نطق هذا الإخفاء أن لا يُسْرع بإطباق الشفتين، وإنما يدنيهما من بعض رويدا رويدا؛ لئلا يظهر السكون على الميم فيصبح الحكم إظهاراً.

ويميل الباحث إلى ترجيح الإخفاء على الإظهار وذلك لما فيه من خفة وسهولة على الناطق والخفة والسهولة في النطق مطلبان من مطالب علم الأصوات؛ إذ نجد أن كل التغيرات الصوتية إنما يطلب بها الخفة في النطق والسهولة في الأداء، وهذه الخفة تظهر فيما إذا نطقنا الميم مخفاة أننا نطبق الشفتين بروية كما تقدم ثم نفرجها عن حرف الباء في مرحلة واحدة، أما لو كان الحكم إظهاراً فإننا سنقوم بعمليتي:

الأولى: إطباق الشفتين على الميم ثم فتحهما عنها.

الثانية: الأخذ في نطق الباء في مرحلة ثانية منفصلة تماماً عن مرحلة نطق الميم.

ثانياً: **آراء المحدثين حول هذه المسألة:**

لقد حظيت مسألة إخفاء الميم الساكنة وإظهارها بعناية كثيرين من الباحثين المحدثين، فقد تناولوها بالبحث والتحليل وإبداء الآراء بشأنها. فمن أبرز المحدثين الذين تناولوا هذه القضية وأجالوا النظر فيها الشيخ "جلال حنفي" الذي قسم أحكام الميم الساكنة إلى:

أ- الإدغام ب- التماس ج- الإظهار د- الإخفاء

ويهمنا هنا حديثه عن الحالة الثانية – حالة الا التماس – حيث يقول:

"والحالة الثانية ... وهي حالة التماس، وذاك إذا جاءت بعد الميم الساكنة باء – موحدة – فإن الميم تكاد تلتصق بها، وتماسها، ويكون ذلك مقروناً بغنة مداها الزمني أربع حركات كما لو كانت مدغمة بميم"[1]. ثم يقول: "فإن الميم التي قبل الباء تعد في حالة تماس ... والمصطلح الشائع لدى المجودين هو أنهم يسمون هذا بالإخفاء الشفوي، في حين لا إخفاء هنا، إذ لا تختفي الميم في الباء؛ لأنهما أشبه بخطين متوازيين يتماسان ولا ينقطعان كما أننا إذا راقبنا النطق بهذه الألفاظ مقطعياً وجدنا أنا ننطلق الميم الساكنة – سواء أكانت مظهرة بلا غنة أو ذات غنة – مجردة من أي علاقة بالباء التي تليها، فإذا انتهينا من نطق هذه الميم انتقلنا إلى نطق الباء، فهما صوتان مستقلان غير متداخل أحدهما في الآخر.

والإخفاء الذي يزعمونه يقتضي أن لا يكونا إلا صوتاً واحداً ... أما ما يفسر به البعض إذ يرى أنه ترجيف الميم الساكنة عند الاقتراب من الباء ترجيفاً خفيفاً، فإنه تصرف في الأصوات غير طبيعي، إذ الباء كما علمنا حرف قلقلة منخنق السكوت لا يمكن استخدامه في الارتجافات الصوتية وفق قوانين النطق السديد ...ويضيف إلى ما تقدم قائلاً: (وهناك من نوافي الإخفاء الميمي أن الحرف المخفى إنما يأتي بعد الحرف المخفي، في حين أنهم يدعون أن الميم أخفيت فكيف أخفيت قبل النطق بالباء وكان الأولى – افتراضاً – أن نخفى الباء في الميم، ويعلل لهذا الحكم الذي ارتآه فيقول: (لأن الميم حرف انيسابي السكون والباء حرف غير انسيابي السكون؛ لأنه حرف قلقلة ... والميم حرف أغن طبيعته الغنة التي من شأنها الاستمرار خلافا للباء التي لا غنة لها ... وعلى فرض كون الميم – عند سكونه – حرفاً يتقبل القلقلة المفتعلة فإن ذلك لا يمنع إخفاءه في أي حرف يأتي بعده لاسيما إن كان حرف قلقلة كالباء؛ لأن القلقلة حالة ذاتية لها ظروفها الخاصة، كما أن مجالها الصوتي يحول دون أن يتشرب بصوت غريب فالإخفاء إذن في الميم الساكنة، ونعني بهذا الإخفاء ما أرادوه وفق مصطلحهم الذي سميناه التماس لا الإخفاء، إذ للإخفاء عندنا معنى

(1) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي ص 126.

غير ما عنوه"[1].

وقد أثنى الدكتور إبراهيم السامرائي على هذه التسمية وباركها ووصفها بالدقة فقال: "مصطلح التماس جميل جداً، ودقيق في الوقت نفسه"[2].

كما كتب الدكتور" التهامي نقرة" إلى صاحب هذا المصطلح بأن ما قاله في هذه المسألة هو الصحيح، وأن الغنة التي تصحب نطق الميم هي التي توقع في الوهم فيظن أن الميم مخفية وهذا خطأ فقال: "الصحيح ما قلتم في الميم الساكنة عند اتصالها بالباء، ولكن الغنة هي التي توهم ذلك، وهو خطأ كما ذكرت"[3].

وذكر الشيخ "جلال حنفي" عن صاحب كتاب "فتح المتعال" قوله: "وقيل بإظهارها وقيل: بإدغامها أي: بلا غنة وهذا القولان غريبان لم يقرأ بهما) وعقب عليه قائلاً: "أما الإظهار فلا غرابة فيه، فقد علمنا أنه نهج منتهج، وإنا لنرجح في بعض الحالات الأخذ بهذا الحكم في الميم التي تماسها الباء إن كانت الميم ساكنة، ويعلل هذا الترجيح بتعليل كمية الغنات المتوالية التي تكون أو تسبب عبئاً ثقيلاً على القارئ فيقول: (وذلك لتخفيف عبء الغنن المتتابعة على القارئ،). كما يرى علة أخرى لهذا الترجيح هي ما يقتضيه السياق من السرعة والهزيمة الكاسحة التي لا يناسبها التلبث والتمهل الذي يكون من الإخفاء فيقول: (كما أن حالة الإظهار الميمي قد يكون ألذ مذاقاً في السمع لما فيها من تعجيل الانتقال من صوت إلى صوت كالذي في قوله تعالى: ﴿**فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: 251]. فالغنة على الميم بسبب التقائها بالباء عند تطبيق قانون التماس تشير إلى شيء من التلبث ولا تلبث عند الهزيمة الكاسحة؛ لذا يحسن الإظهار في مثل هذه المواطن)[4].وقد أورد الشيخ جلال قوله تعالى: ﴿**بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّها وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾ [الأنبياء: 40]. من الموضوعات التي يستحسن فيها الإظهار ويعلل ذلك بقوله:(لأن مفهوم المباغتة يتطلب ذلك ويحقق المعنى فيه.

(1) المرجع نفسه ص 128.
(2) المرجع نفسه ص 141.
(3) المرجع نفسه والصفحة.
(4) نفس المرجع هامش ص 141.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: 120]. فيرى أنه يستوي فيه الوجهان أي: التماس والإظهار ويوضح وجه هذا الاستواء في كل فيقول: (فالإظهار والتماس يستويان فيه ... فإن وقفت على الميم ووصل الكلام بلا غنة عنى ذلك التعجيل في اتباع الهوى... وإن وجدت الغنة على الميم لتماسه بالباء في "بعد" دل ذلك على عمق ذلك الاتباع، وبهذا كان التماس والإظهار سيين)[1]. ولكن هل نحن نتتبع كل السياقات التي تردت فيها الميم المخفاة فنحكم فيها بإخفاءً تارة و بإظهار أخرى حسب المعاني التي يتطلبها السياق الذي ترد فيه أم إن هذا حكم صوتي عام في هذه المسألة في كل السياقات التي ترد فيها فلا علاقة فيه للمعاني الصوتية السياقية.؟.

ولم يعلق الشيخ "جلال" على حالة الإدغام وهي حالة مقروء بها في الإدغام الكبير عند أبي عمرو. وهذا عند من يأخذون بالإخفاء، أما عند من يأخذون بالإظهار فلا نبر فيها.

علامات الرموز المستخدمة في النبر عند المجودين:

هناك علامات رمزية لأنواع النبر في رسم المصحف بعضها وجودي مثل نبر الشدة وهو هكذا (ـــّ) وهي علامة على نبر الضغط بشقيه الصيغي و الإدغامي، وماعدا نبر الطول فرمزه المدة هكذا (~). و البعض الآخر عدمي مثل: نبر الإخفاء في النون و التنوين و الميم، حيث يعتبر خلو النون و الميم الساكنتين من السكون و عدم التشديد في الحرف الذي يليهما علامة لنبر الإخفاء. كذلك نبر القلقلة لا علامة خطية له.

وهناك رموز أخرى تستخدم في الخلاوي السودانية هي:

- رأس الغين هكذا (غـ) للدلالة على نبر الإدغام، توضع فوق النون والميم المدغمتين.
- حرف الخاء مصغراً هكذا (خـ) للدلالة على نبر الإخفاء في النون الساكن، وفي إخفاء الميم الساكنة عند ملاقاتها الباء، يوضع فوق النون والميم المخفاتين.

(1) المرجع نفسه هامش ص 142.

الخاتمة

وهي تتضمن النتائج والتوصيات و ثبت المصادر و المراجع:

أولاً: **النتائج:**

تناولت هذه الدراسة ظاهرة النبر عند المجودين، أنواعه و مقاديره وأغراضه وتوصلت إلى ما يلي من النتائج:

- إن مفهوم النبر عند المجودين لا يختلف عن مفهومه عند علماء اللغة المعاصرين فهو إما نبر توتر، أو ضغط أو طول.
- إن علماء التجويد درسوا هذه الظاهرة دراسة دقيقة ومفصلة، ولكن تحت مسميات أخرى غير مسمى النبر، مثل: المدود؛ التشديد، الإخفاء والغنة و القلقلة الخ، ولم يهملوها كما زعم بعض المستشرقين ومن قال برأيهم من علماء اللغة العربية المعاصرين.
- تفوق علماء التجويد على علماء اللغة بالتفريعات وثراء المصطلحات النبرية.
- تفوق المجودون على علماء الأصوات المحدثين بتقنين مُدَدً النبر المختلفة حيث تراوحت عندهم من 2-6 حركات.
- يأتي النبر في تلاوة القرءان الكريم لأغراض:

أ- غرض لغوي: يتمثل في إعطاء الكلمة صيغتها اللغوية التي تميزها عن الصيغ الأخرى، وذلك كما في نبر المد الطبيعي ونبر التضعيف.

ب- أغراض صوتية تعبيرية تتمثل في:

- الخفة وذلك كما في نبر الإدغام؛ لأن النطق بحرف واحد مشدد أخف من النطق بحرفين مظهرين.
- لأجل التمكن من النطق، لإعطاء الأصوات حقها الكامل في النطق وذلك كما في نبر المد اللازم والمد العارض للسكون الذي يقوم النبر فيهما بوظيفة الحركة التي يؤتى بها للتخلص من الساكنين وكما في نبر المد الواجب المتصل فإنه إنما يؤتى به للحفاظ على أصوات المد، أو للتمكن من

نطق الهمزة حسب الرأيين الذين وردا في التعليل الصوتي لهذا النبر.

ت- أغراض دلالية؛ وذلك كما في نبر التضعيف الذي يفرق بين معاني الصيغ مثل: (نَزَلَ و نزَّل، قطَع و قطَّع)، وكما في التوكيد الذي يستفاد من غنة النون المشددة في " إنَّ" و "أنَّ" و نوني التوكيد الثقلية و الخفيفة و كما في مد المبالغة الذي يؤتى به طلباً للمبالغة في نفي الألوهية عما سوى الله سبحانه و تعالى، وكما في نبر مد التبرئة، وكما في نبر إخفاء الميم الساكنة في بعض الحالات.

ث- يعطي الصوت صورته النطقية الكاملة، ويميزه في النطق أكمل تمييز، وذلك كما في نبر القلقلة.

ج- غرض جمالي؛ وهذا يتمثل في إكساب الأداء الصوتي للتلاوة رونقاً و يضفي عليه جمالاً و يجعل التلاوة سليمة مقبولة و ممتعة لدى علماء الأداء القرآني؛ لأن التوازن الصوتي الذي تؤدى به التلاوة ينتج عنه- بسبب ما يصحبه من المدود و الغنات و القلقة و التضعيف و التأنق في الأداء – الخ ذلك الجمال و تلك الكفاءة الأدائية التي تجعل التلاوة سليمة من التشوهات الأدائية و المخالفات الصوتية، مقبولة و محتفى بها لدى علماء فن الإقراء و المقرئين.

ثانياً: **التوصيات:**

أوصي بمايلي:

- بإجراء مزيد من الدراسات حول هذه الظاهرة في القرءان الكريم واكتشاف جوانب أخرى لم تتناولها هذه الدراسة.
- بإجراء دراسات حول مُدة حركة الإصبع وتقنينها تقنيناً دقيقاً.
- بإجراء دراسات حول مُدَد النبر في حالة النون المدغمة والمشددة والمخفاة، وفي الحرف المشدد من غير إدغام.
- إجراء دراسة حول تحديد مدة نبر القلقلة في أحرفها المختلفة.

المصادر والمراجع

1. أنيس، إبراهيم (دكتور): الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 2007م.
2. ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف: التمهيد، ت:علي حسين البواب، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى.
3. المقدمة الجزرية: دار المغني، ط1، 2001م.
4. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد: لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت – ط3 – 1414 هـ.
5. ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط4.
6. أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان: التحديد في الإتقان والتجويد، دراسة و تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 1421هـ – 2000م.
7. أحمد بن فارس بن زكريا: مجمل اللغة،ت:زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة،بيروت، ط2، 198م.
8. أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط8، 2003م.
9. الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ظ4، 1987م.
10. بارتيل مالمبرج: الصوتيات،، ترجمة: محمد حلمي هُلَيْل، الخرطوم، 1985م.
11. البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري بشرح فتح الباري لابن حجر لعسقلاني، لناشر: دار المعرفة – بيروت، 1379.
12. البنا: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني: إتحاف فضلاء البشر، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، ط3،– 1427هـ – 2006م
13. جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية صالح

القرمادي، نشريات الجامعة التونسيّة، 1966م.
14. حسان، تمام حسان(دكتور): مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية.
15. حنفي، جلال حنفي: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف لشؤون الدينية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، –1407 1987م.
16. الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ت: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكبة الهلال
17. سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408 هـ – 1988
18. الشيخ سليمان بن الجمزوري: تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرءان، تعليق الشيخ محمد علي الضباع
19. الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ط2.
20. البكوش، الطيب البكوش (دكتور) التصريف العربي، الناشر: المطبعة العربية، تونس، 1992م.
21. عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة: حجة القراءات، الناشر: دار الرسالة حققه وعلق على حواشيه: سعيد الأفغاني.
22. الطرهوني،عبد الرحيم الطرهوني: عدة القارئ في تجويد كلام البارئ،، دار الحديث، القاهرة.
23. شاهين،عبد الصبور (دكتور): أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ط1، 1408هـ – 1987م، ن: مكتبة الخانجي– القاهرة.
24. المرصفي،عبد الفتاح بن السيد عجمي: هداية القارئ إلى تجويد كلام البارئ،: مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط:2.
25. الهمذاني،العطار أبو العلاء الحسن بن أحمد: التمهيد في معرفة التجويد،تحقيق: غانم قدوري الحمد، عمان، دار عمار، ط1 2000م.

26. الحمد،غانم قدوري (دكتور): الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مطبعة الخلود، بغداد، ط1، 1406هـ – 1986م.
27. الفيروز أبادي:مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب:القاموس المحيط، الناشر: مؤسسة االرسالة، بيروت – لبنان، ط8، 1426 هـ – 2005م.
28. القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، تقديم وتحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 1421هـ – 2000م.
29. الجريسي، محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2002م.
30. المرعشي، محمد بن أبي بكر: جهد المقل، دار عمار، الأردن، ط1، –1422 1987م.
31. القيسي، مكي بن أبي طالب: الرعاية، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأ رد، ط4، 2001م.
32. فليش، هنري، العربية الفصحى، دراسة في البناء اللغوي، تعريب وتحقيق وتقديم د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب القاهرة، 1997م.
33. يوسف الخليفة أبوبكر (دكتور): أصوات القرءان، ط2، 1414هـ – 1994م.